

وإبراز أساليبه، بل من المرجح أنه لم يخطر لباحث ببال أن يكتب تاريخاً للسرد. صحيح أن هناك محاولات في هذا الميدان، لكنها تصب اهتمامها على السرد «الأدبي». انطلاقاً من مفهوم ضيق للأدب، يتناول الباحث أصنافاً معينة من السرد، ويقصي أصنافاً أخرى لا يعتبرها أدبية.

إن دراسة السرد لن تتقدم ما دام الجري مستمراً وراء «التخصص»، وما دام العديد من الباحثين لم يفتنوا إلى أن ميدان اهتمامهم ينبغي أن يكون السرد العربي بمختلف فنونه ومظاهره. إن الحواجز التي نضعها بين الأنواع لها ما يبررها، ولكنها تظل نسبية. فهناك خيوط كثيرة تشد الأنواع فيما بينها وعلى عدة مستويات، بحيث لا يجوز لمن يدرس «ألف ليلة»، مثلاً، أن يتجاهل تاريخ الطبري ورحلة ابن بطوطة وكتب التراجم.

لا أدعي بحال من الأحوال، أن الدراسات التي يشتمل عليها هذا الكتيب تطبق البرنامج المشار إليه. كل ما في الأمر أنني أقترح «قراءة» لستة نصوص سردية، البعض منها في «الأدب» والآخر في «الترجمة»، ذاهباً إلى أن كتاب «أسرار البلاغة» يروي حكاية من الحكايات... أما لماذا وقع اختياري على نصوص بعينها، فذلك راجع لأسباب ظرفية. ولا داعي أن أؤكد أن كل دراسة منطوية على نفسها مرتبطة بجاراتها في آن، مثلما هو الشأن بالنسبة لنجوم الشريا.